

قراءة في بيانات اللجنة الوزارية للفتوى

بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف

خلال فترة البائنة كوفيد 19

بقلم: أ. سميرة مخالدي
مديرة الدراسات

فمنذ أن ظهرت أولى الحالات في بلدنا بداية شهر مارس 2020، سارعت الوزارة إلى دعوة اللجنة الوزارية للفتوى المتكونة من علماء ومشايخ وأساتذة جامعيين من مختلف أرجاء الوطن، لمتابعة مستجدات وتطورات الوباء عن كثب، ودراسة ما يترتب شرعا عن هذه النازلة التي تهدد حياة الجزائريين والبشرية جمعاء، وكذا التنسيق مع اللجنة العلمية لمتابعة ورصد الوباء في اتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة للحد من انتشار الفيروس، فبادرت هذه اللجنة إلى إصدار أول بيان لها بتاريخ 20 رجب 1441هـ الموافق 15 مارس 2020، حيث دعت من خلاله كافة الناس إلى الاحتياط والأخذ بكل أسباب الوقاية، حسما لزيادة انتشار الفيروس وحفظا

تعرضت الجزائر مطلع السنة الجارية 2020م على غرار دول العالم لفيروس قاتل «كوفيد 19»، الذي صنفته منظمة الصحة العالمية على أنه وباء ثم جائحة، وبعد ظهور آثار وخيمة ألحقها هذا الوباء بكثير من الدول العظمى التي تملك منظومات صحية متطورة، بادرت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف إلى اتخاذ الإجراءات الاحترازية والاحتياطية اللازمة لحماية حياة المواطنين، وكانت من المؤسسات السباقة للأخذ بكل أسباب الوقاية، والحث على اتخاذ واتباع الإجراءات الصحية والوقائية حفظا للنفس التي هي من الكليات الضرورية الخمس.

للنفس البشرية، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾⁽¹⁾، ودعت المصابين بنزلات البرد إلى عدم ارتياد الأماكن العامة وخاصة المساجد منعاً للإضرار بالغير، لقوله ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»⁽²⁾. كما دعت كبار السن والنساء والأطفال إلى الامتناع عن الحضور إلى المساجد للجمعة والجماعات حرصاً وزيادة في أخذ الحيطة.

كما كانت السَّابِقة إلى اتخاذ أهم إجراء ساعد في حماية المواطنين والمواطنات والمحافظة على أرواحهم، وهو تعليق صلاة الجمعة والجماعات، وغلق المساجد ودور العبادة في كل ربوع الوطن، مع المحافظة على رفع شعيرة الأذان، وكان ذلك إعمالاً لنصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والقواعد الشرعية، ومقاصد الشريعة الإسلامية التي تأمر بالمحافظة على الحياة الإنسانية، وهو الإجراء الذي تتابعت الدول الإسلامية في اتخاذه بعد أن علمت يقيناً نجاعته في الحفاظ على النفس التي تعتبر مقصداً ضرورياً، بينما

تُعَدُّ الجماعة مقصداً تكميلياً، ولا اعتبار للتكميلي إذا تعارض مع ضروري.

ولم يكن هذا الإجراء مبتدعاً، إنما حدث في التاريخ الإسلامي أن أُغلقت المساجد والزوايا، وعُلِّقت صلاة الجماعة بسبب انتشار الأوبئة، بل وعُلِّق الأذان بسبب كثرة الموتى وانشغال الناس بدفنهم، ومما جاء في ذلك ما ذكره الإمام المقرئ (ت 845) في كتابه "السلوك لمعرفة دول الملوك" من الآثار الاجتماعية للطاعون الذي وقع بمصر سنة 749هـ، قال: "وتعطل الأذان من عدة مواضع، وبقي في الموضع المشهور بأذان واحد"⁽³⁾.

واستمرت اللجنة الوزارية للفتوى في بذل الجهود متتبعَةً التطورات المتسارعة لجائحة كورونا، حيث كانت تعقد اجتماعاتها بشكل متتالي يجمع الأعضاء الحاضرين في مقر وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ويتم التواصل مع بقية الأعضاء عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، والتنسيق مع اللجنة العلمية التابعة لوزارة الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات، لتساير مستجدات الوضع،

بسبب الوضعية الاستثنائية، والتخفيف عنهم من وطأة الملّات التي أصابهم في أرزاقهم ومعاشهم، والتخفيف من آثارها النفسية والاجتماعية، وخصوصا لدى الفئات التي تعتمد أساسا على مداخيل الأعمال اليومية كأصحاب الحرف والصناعات البسيطة، وحثّ أرباب الأموال وَمَنْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ أَنْ يَمْدُوا يَدَ الْعَوْنِ لِإِخْوَانِهِمِ الْمُحْتَاجِينَ، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾⁽⁵⁾، وقول النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»⁽⁶⁾.

وحذّرت من نشر الإشاعات والأخبار المغلوطة دون تثبت واستناد إلى المصادر الموثوقة، لما في ذلك من إلحاق الضرر بالفرد والمجتمع، وإثارة القلق والخوف والتلاعب بالصحة النفسية للمواطنين، والتأثير على منظومة القيم والأخلاق، وغير ذلك من الآثار التي تسبب الفتنة في المجتمع، والله تعالى يقول: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾⁽⁷⁾.

وتوجّه المواطنين إلى الاحتياط والالتزام باتباع كل الإجراءات الاحترازية والوقائية التي أقرتها الجهات الرسمية المختصة، والتي تتماشى ومقاصد الشرع وقواعده الفقهية التأصيلية لفقه النوازل، والتي تقضي في عمومها وتفصيلها بحفظ النفوس والاحتياط لها من الأضرار، ومنع كل تصرف ينشأ عنه الضرر، لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾⁽⁴⁾.

وكما راعت اللجنة الجانب الديني والواجب الشرعي نحو هذه الجائحة وكيفية التعامل معها، راعت أيضا الجانب الاجتماعي الذي لا ينفصل عن التوجهات الدينية، حيث خصصت فقرات من بعض البيانات للدعوة إلى المزيد من التّمسك بقيم التّضامن والتكافل والتّعاون الأصيلة في مجتمعنا الجزائري، فأصدرت فتوى بجواز تعجيل الزكاة وإخراجها قبل حلول موعدها (أي الحول)، لما في ذلك من المصلحة الظرفية التي تعود على بعض المواطنين، بمساعدتهم على تجاوز صعوبات الحجر الصحي الذي فُرض

ولا يخفى ما تسببه كذلك من إضعاف لروح ومعنويات الأمة خصوصا في وقت الأزمات كالتى يعيشها العالم بأسره في الوقت الراهن جراء تفشي فيروس (كوفيد 19).

وأكدت على الابتعاد عن الجشع والأنانية في اقتناء الحاجات وعن كل مشاحنة مع الغير لما في ذلك من إفساد القلوب، وإثارة الخصومات، وقطع الأرحام، والابتعاد عن كل خلق يضرب القيم والأخلاق، كالغش والاحتكار، وحثت على إصلاح القلوب وسلامة الصدور، والتمسك بالوحدة الدينية التي تجمع الكلمة، وترسخ دعائم الأخوة بين أبناء الوطن الواحد، وتقوي أواصر الترابط والتلاحم والتراحم بينهم، لقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾⁽⁸⁾.

وخلال ما يقرب من سبعة أشهر من الزمن، أصدرت اللجنة الوزارية للفتوى أربعة وعشرين بيانا، أي بمعدل

بيان واحد في أقل من أسبوعين، يحمل كل بيان في طياته فتاوى تفيد أحكاما شرعية مستقاة من النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة المطهرة، كما تحمل توجيهات ونصائح صادقة لا يضاهاها إلا الحرص الكبير على حياة المواطنين وسلامتهم من أن يتضرروا بسبب هذا الوباء أو غيره، حفاظا على النفس لقوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾⁽⁹⁾.

وهو جهد يعكسه الجِدُّ في مساهرة الوضع الصحي الاستثنائي، وبث روح المسؤولية في نفوس الناس بضرورة التحلي بالوعي والانضباط، والامتثال لتوجيهات المختصين في الشريعة الإسلامية باعتبارها أحكاما شرعية دينية، والالتزام بالإجراءات الوقائية الصحية باعتبارها صادرة من مختصين في الصحة العمومية، ويعكسه أيضا الحرص على بعث روح التفاؤل

والطمأنينة والأمل، وتجنب ملمح اليأس والقنوط والمبالغة في التخويف.

ولم تغفل اللجنة الوزارية للفتوى عن الجهود التي كان يقدمها جميع أفراد الأسرة الطبية، من أطباء وعمال ومساعدين، فأثنت على سهرهم وسعيهم وتفانيهم من أجل حماية حياة المواطنين، ووقوفهم في خط الدفاع الأول لمواجهة هذا الوباء مع الالتزام بالمسؤوليات الصحية الأخرى، مبشرة إياهم بالبشرى القرآنية التي يحملها قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وحرصت على التفاعل معهم في انشغالهم حول أداء عباداتهم في ظروفهم المهنية الصعبة، فأصدرت في حقهم فتوى توضح كيفية صلاة الأسلاك الطبية ومن في حكمهم من القائمين على مرضى فيروس (كوفيد 19).

كما أولت بيانات اللجنة العناية الفائقة للحقوق المشتركة والمرافق العامة كالشوارع والحدائق والطرق والأسواق، وبينت أهميتها في المجتمع،

والأحكام الشرعية المتعلقة بها، وعلاقتها بمقاصد الشريعة الإسلامية، وأكدت على أن وجوب الحفاظ عليها محافظة على المقاصد الشرعية، وعلامة من علامات الإيمان، قال ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ. أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ. شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»⁽¹⁰⁾، كما أكدت على مبدأ المساواة بين أفراد المجتمع في الاستفادة منها، لقول النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْكَلَالِ، وَالْمَاءِ، وَالنَّارِ»⁽¹¹⁾، وأن التعدي عليها يُعدُّ من الكبائر، وأن مسؤولية استخدامها استخداماً عقلانياً هي مسؤولية مشتركة يتحملها الجميع، لقول النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»⁽¹²⁾، وحثت على إشاعة روح التعاون بين أفراد المجتمع لرعاية هذه المرافق العامة، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁽¹³⁾.

الهوامش:

- 1 - سورة البقرة/195
- 2 - سنن ابن ماجه، رقم (2340)، 2 / 784.
- 3 - السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين المقريزي، 4 / 88
- 4 - سورة النساء/29
- 5 - سورة الحجرات/10
- 6 - صحيح البخاري (برقم 481)، 1 / 103.
- 7 - سورة البقرة/217
- 8 - سورة التوبة/71
- 9 - سورة المائدة/32.
- 10 - صحيح مسلم (برقم 58) 1 / 630.
- 11 - سنن ابن ماجه (برقم 2472) 2 / 826.
- 12 - صحيح البخاري (رقم 478) 1 / 320.
- 13 - سورة المائدة/2.

ولا تزال اللجنة الوزارية للفتوى مستمرة في مرافقتها الفقهية لأفراد المجتمع من خلال البيانات التي تصدرها تباعا، انطلاقا من نصوص الشريعة الإسلامية السمحة وقواعدها ومقاصدها، مؤكدة على تعزيز روح التعاون في مواجهة هذه الجائحة، متطلعين كما يتطلع كل الجزائريين إلى اليوم الذي يرفع الله فيه هذا البلاء، وهم في تنسيق دائم ومستمر مع مصالح الصحة العمومية المختصة، من أجل الوقوف على وضعية البلاء، مع التوجه إلى الله عز وجل بالسؤال أن يرحم شهداء الوطن في مختلف الأسلاك الذين قدموا أرواحهم دفاعا عن أمن الوطن وحياة المواطنين، وأن يشفي مرضانا، ويعافي أصحابنا، وأن يجعل بلدنا آمنا مطمئنا، وأن يمتعنا بما فيه من الخيرات ويديمها علينا، وأن يرزقنا شكرها والمحافظة عليها، حتى يرضى عنا ربُّنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.